

أدونيس

مهد آخر لولادة ثانية

العالم جزء من كتاب فلسطين (١)

١ - مجابهة شاملة للخطر الشامل

حتى الآن ، لم يخض العرب الحرب الا بجزء بسيط من طاقاتهم . واستطاعوا بهكذا الجزء البسيط ان يواجهوا الجيش الاسرائيلي وهو من اكثر قسوى الاستعمار ، في العصر الحديث ، شراسة وغطرسة وحدائة . ويعني هذا ، ببساطة ووضوح ، ان العرب ليسوا قادرين ، فيما اذا استخدموا جميع طاقاتهم ، على مواجهة العدو وحلفائه وحسب ، بل يعني ايضا انهم قادرون على تحقيق النصر الذي يشاؤون ، ساعة يشاؤون .

ويدرك العرب جميعا ان الخطر الذي تمثله اسرائيل لا يقتصر على كونه خطر مصلحة اقتصادية او منافسة استراتيجية وتجارية وسياسية ، وانما هو قبل ذلك خطر مصري يهدد الشخصية العربية ذاتها ، والوجود العربي ذاته .

المسألة اذن هي : لماذا يتردد العرب في استخدام جميع طاقاتهم ، المادية والبشرية ، للقضاء على عدو يهدد وجودهم ، خصوصا اذا كانت هذه الطاقات تؤثر على مستوى العالم كله ؟

هذا التردد يعني أحد أمرين : اما « ارجاء » المعركة ، واما « الافتتاح » بوجود اسرائيل . والموقف في الحاليتين ليس خذلانا للجزء المحارب وحسب ، وانما هو ، قبل ذلك ، شكل آخر لعدم اسرائيل ودفعها الى مزيد من السيطرة والتوسع .

ان الخطر الذي يهدد مصير وطن بكامله لا تمكن مجابهته الا مصيريا ، بكل ذرة يخترقها من الطاقات المادية ، وبكل نبضة حياة فيه . فلا قضاء على الخطر الاسرائيلي الشامل ، الا بالمجابهة الشاملة .

(*) يوميات نشرت في جريدة « المحرر » بدءا من ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، حتى ٢٢ منه ، تاريخ وقف اطلاق النار .

٢ - طريق دمشق ، طريق سيناء

دائما ، كانت طريق دمشق رمزا للانسان الذي يعانق مصيره ، اندحارا او انتصارا ، ضلالا او اهتداء . ودائما كانت مفتوحة . . لكن ، كما تنفتح الصاعقة ، وكما يفتح الطوفان . وفي الصاعقة والطوفان النور الكاشف والماء الطيب ، وفيهما كذلك هجمة النار وضربة الابادة .

وكما « ابرق بفتنة نور من السماء » على بولس الرسول « فيما هو منطلق وقد قرب من دمشق » ، فهدها الى الحياة الحققة ، فان النور الذي يبرق الآن على « طريق دمشق » يصيء للعرب المستقبل ويهديهم الى الحياة الحققة .

... ليس لان التاريخ يتكرر . لا يتكرر غير الموت ، والتاريخ حياة ، والحياة جديدة ابدا ، بل لان لهب الحاضر لا يندلع الا من الماضي الذي يكتنز الجمر .

واليوم ، على طريق دمشق ، يتفجر الجمر المخزون . يتفجر ليصعق ويهدي . واذا كانت هذه الطريق هي التي تصعق دايمان وجيشه ، فلانها هي التي يسلكها العرب ، فيرون فيها الحياة الحقيقية ، ويعانقون المجد ولانها كذلك طريق سيناء .

٣ - الى المؤتمرين في الكويت

الصحافة الغربية الموالية لاسرائيل تطالب الولايات المتحدة ، فيما يتعلق بالحرب العربية - الاسرائيلية ، بدور تحدده لها في النقاط الآتية :

أولا - عدم السماح بأي انكسار اسرائيلي ، ودعم اسرائيل دعما كليا ، على جميع المستويات .

ثانيا - استخدام جميع وسائلها لتوسيع الخلافات العربية او خلق خلافات جديدة بحيث تحول دون تماسكها الفعال ، وتحول بالتالي ، دون تعبئة طاقاتها لمواجهة اسرائيل ، ودون الوصول ، على الاخص ، الى اتخاذ قرار باستخدام النفط العربي كسلاح في المعركة الدائرة .

ثالثا - استمرار وجودها العسكري المتفوق في البحر المتوسط . وتعمل الولايات المتحدة ، من جهتها ، كل ما يفرضه هذا الدور . وليس تصريح نيكسون الاخير ، وارسال الفتي بحار اميركي للالتحاق

٦ - نحن الذين نتجرجر على الارصفة

لذين يفتنون دروبهم في الجولان وسيناء ، يفتح لهم المستقبل دروبه . وتحت أجسادهم المنذورة للوطن والحرية ، يتقدم نحوهم فجر الازمنة .

حتى نحن الذين لا نعرف كيف نسد الرصاصة ونجهل ، في مجابهة العدو ، نشوة الرصد ،

حتى نحن الذين نتجرجر على الارصفة وافكارنا تتهدل حولنا كالخرق ،

حتى نحن الذين نحيا في هذا الموت اليومي الحي ، نستطيع الآن ان نرى بعيني سيناء الغيظ الذي يصل بين القصيدة والرصاصة ، بين الوجه والشمس .

ونستطيع الآن ان نرى الى هذا الزمن الآخر في الجولان كيف يمحو الحرب بالحرب ، ويخلق الحياة في شرفات الموت ،

وتؤخذ أجسادنا برجة الفرخ ، وترفض قلوبنا للدخول في دورة جديدة لدم جديد .

ونستطيع ان نرى الى دمشق كيف تتهدم ولا تشكو : ليست مشغولة بما يسقط ، بل بما ينهض . ونستطيع ان نرى تتابع الابطال درعا درعا ، شهادة شهادة ، على ضفاف السويس وفي سيناء ، وليس في الضفاف وسيناء ما يشكو : ليست مشغولة بالأمها ، لكنها مشغولة بضرب عقدة الشر في العالم ، بحرق ظلام العالم - فالعالم هو أيضا هم عربي . العالم هو أيضا جزء من كتاب فلسطين .

وباسم الذين يفتنون دروبهم في الجولان وسيناء ، ويفتح لهم المستقبل دروبه ، نستطيع الآن ان نستشرف سنوات المنفى ، وأبدية الحرية ، ونحلق ، ونهتف : سلاما يا طفولة الوطن ، سلاما يا جسد الحرية ، وداعا أيها المنفى ...

٧ - « الآلة قبل اليد ، والاسنان قبل الرأس »

تقول سيمون دو بوفوار في بيان وقعته مع كتاب فرنسيين آخرين ، ان الحرب التي يخوضها العرب ليست « حرب تحرير » ، بل حرب إبادة للشعب اليهودي ! (لوموند ، ١٩ تشرين الاول) .

ماذا نقول لسيمون دو بوفوار ؟ نقول أولا ان هذا البيان لم يوقعه كاتب فرنسي واحد يمكن اعتباره عظيما . وهذه ظاهرة تكشف بذاتها عن ان الوعي الإبداعي في فرنسا بدأ يقتسل من الوحل الصهيوني .

ونقول ثانيا ما يقوله الوار ، شاعر فرنسا ، ان العالم بالنسبة الى سيمون دو بوفوار ما يزال يسير بشكل معكوس : الآلة قبل اليد ، والاسنان قبل الرأس ! فهي وصحبها لا يمثلون من فرنسا غير التعفن والانحلال .

وانتم أيها الكتاب الفرنسيون الشرفاء ، لكم تحيتنا . ليس لانكم تقفون معنا ، أو لا تقفون مع عدونا ، بل لانكم تنقذون شرف شعبكم وشرف الكتابة .

ان الكتاب العرب - اليوم - يعيشون فيما يشبه المراحل التي عشتوها ، زمن النازية . لذلك تفهمونا وتتعاطفون معنا .

تعرفون ان الفضاء حين ينكسر فوق جباهنا ، ويصبح الشجر كله بلون الورد ، فلان عمالنا وفلاحينا وفقراننا جميعا يفسلون إيامنا من الوحل ، ويعطونها لون الحرية ...

وتعرفون ان التاريخ العربي يولد الآن في الحصانيت والازفة والاكواخ ، كما يولد في الجولان وسيناء ، لان حياتنا لم تعد كلاما يتعفن على الشفاء ، ولان قبضات شعوبنا تأخذ مكانها في دفنة العصر .

وتعرفون لذلك اننا وياكم جهة واحدة ومصير واحد ...

بالاسطول السادس ، ومد جسور جوية وبحرية لنقل الاسلحة بمختلف أنواعها الى اسرائيل ، الا عمالا تؤكد هذا الدور . وهكذا لا يكتفي نيكسون بإقامة « سلامه الحقيقي » على جثث آباءنا وامهاتنا ، اخوتنا وابنائنا ، وانما يحترق للعرب ، الامهم وآمالهم ، حاضرهم ومستقبلهم ، ويحترق وجودهم بكامله .

ان الشعوب العربية تطالب قادتها ، باسم حريتها وكرامتها ، ان يعلنوا انفصالهم الكامل عن سياسة الولايات المتحدة ، ونضالهم الكامل ضد هذه السياسة . وليس قطع النفط عن الولايات المتحدة وجميع الدول التي تنهج نهجها السياسي الا الخطوة الاولى البديهية في هذا المجال . فمثل هذا العمل يؤكد ، في المرحلة الراهنة ، على وعي العرب لوجودهم وشخصيتهم ودورهم ، ويرتفع بهم الى مستوى الرؤيا التاريخية التي تستشرف المستقبل . ويكون العرب أمناء لتاريخهم : بالاسس شاركوا في فتح نوافذ النور الذي يضيء العالم ، واليوم يشاركون في اغلاق منافذ الوباء الذي يخنق العالم .

٤ - أرض جديدة فوق الارض

« نحارب من اجل السلام » ، يقول العرب .

« شرط السلام تدمير العرب » ، تقول اسرائيل .

وبين السلام والتدمير ، يفتح كتاب فلسطين على الافق . لا افق المدينة ، بل افق الارض . لا افق اللحظة ، بل افق الازمنة . والورق جسد ، ونبض الجسد العبر .

وينطلق العربي في بهاء لحظة تنفوس في التاريخ كالجلد . يحتضن السهل الجبل ، الماء والهواء ، الفبار والشمس . وفي مدى سيناء والجولان ، الجليل وغزة ، وفي لهب النهار والليل ، يبسط أرضا جديدة فوق الارض . انها كروم التاريخ الناشء - المستمر . وها هي باكورة العناقيد الناضجة .

وبين العنقود وأخيه ، يتأسس عناق آخر مع الارض الحبيبة ، ويكون رهص فرح بعمق الموت وموت بعمق الفرخ . يكون رهص يتداخل فيه الحجر والحديد ، الزمن والجسد . كل جسد درج يصعد عليه التاريخ : الصدر بيت للشمس ، والوجه اول الافق .

٥ - لا أحد يولد الا من رماده

ما من عاشق لبلاده يكتفي ان يحب أرضها بفكره وحسب ، بقلبه وعييه وحسب . انه يحبها كذلك بجسده . في هذا الحب الجسدي وحده امتحان الانسان ، لانه وحده الأخير الحاسم . وها هو الثائر الفلسطيني يسكن طبيعة الارض : الصخر والريح . وها هو يتقدم صوب العتبة . ألح ناره تتشابك مع التراب وتصلق معدن تاريخه . اسمع صخبا ينفر من أحشائه ويصير الغيم والبرق .

تلالا بين يديه اسلحته ، ويتحد في بريقها الفضاء ووجهه . وحين يرى الى وحدته التي ينسجها الصخر والريح ، ويرى السى طموحه الذي يقتلع قشرة العالم ، يتيقن ان الشجر ظل جسده ، وان موته يترسب في قرارة أرضه - الام .

وان الينابيع تنبجس الآن .

لا أحد يولد الا من رماده .

« الجسد عار ، لكن خطواتي غابات يكتسي بها عري الارض . الصوت مجروح ، لكنني اتسرب في حنجره الشمس شرارة شرارة . وبدعا من ظلمة الشلل ، أخلق التوهج والحركة » .

كان يتحدث مع صورته الثانية : جبل الشيخ ،

ويفرش صدره على سفوحه ...

لا أحد يولد الا من رماده .

اللفة ذاتها . والحقيقة ان العرب لم يكونوا ، على الصعيد الابداعي ، طوال القرون العشرة الماضية ، يتكلمون وانما كانوا يصدرون اصواتا تنتظم في ألفاظ ففتت وجهها الآخر ، أي جئرها الآخر : الواقع او الحياة . فالكلمة هي الوجه الآخر للواقع - العمل ، وان لا نرى الصلة بين الوجهين ، يعني اننا لا نرى الواقع ولا اللفة . ومن هنا ندرك كيف ان الادب العربي طوال هذه القرون والادب الحاضر المرتبط به ، ليست له أية قيمة فنية او فكرية ، ذلك انه لا يتكلم ، وانما يرتب اصواتا - الفاظا في انساق وانماط بيانية . وعلى هذا يكون كل ما يربط الحياة العربية بالممارسة العملية احياء للممثل وللكلام في آن . فليست المسألة اننا نفاضل بين العمل والكلام ، وانما هي ان نخلق التكامل الجدلي فيما بينهما .

- ٢ -

في هذا الاتجاه الذي يرتبط به كلام توفيق الحكيم ، نفراً اليوم آراء لكثيرين من الكتاب والشعراء العرب والعاملين في الحصول الفنية والادبية ، نجمع على ان انتاج الادبي والفني ، منذ هزيمة ١٩٦٧ ، قد سقط وعلى ان الاحداث تجاوزته . ومثل هذا الكلام يطرح سؤالاً أساسياً هو : هل سقط هذا النتاج (لنسلم ، موقنا ، بصحة هذا الزعم) لمجرد استهلاكه الهزيمة وصدوره عنها حقاً ، أم لانه بذاته لا يحمل قيمة فنية ؟ والفاية من السؤال هي التشديد على ان الوعي الصحيح للظاهرة يستلزم او ، بالاحرى ، يتضمن وعي دلالتها . وليس في هذه الآراء ما يشير الى وعي هذه الدلالة ، بل ان كل ما فيها يشير ، على العكس ، الى ان على الكاتب العربي ان يباشر اليوم الارتباط بالواقع الجديد : الانتصار القائم او المقبل . انها آراء تقفز بنا من الارتباط الالي بالهزيمة ، الى الارتباط الالي بالانتصار ، كأن مجرد الارتباط بالانتصار ينتج الادب العظيم . والواقع ان الموقف الثاني ليس الا الشكل الآخر للموقف الاول . وهذه الفصائد التي أخذ بعضهم يكتبها اليوم ليعكس بها الانتصار ليست الا الصورة الثانية للفصائد التي كان قد كتبها بعضهم ليعكس بها الهزيمة . والسقوط هنا وهناك لا ينتج بالضرورة عن مجرد استهلاك الهزيمة او النصر ، وانما يصدر عن الارتباط الالي بالحدث او بالواقع . يصدر بتعبير آخر عن فقر الرؤيا الفنية ، هنا وهناك .

ان كل نتاج ادبي او فني يصدر عن مثل هذا الارتباط انما هو نتاج ساقط ، حتماً ، سواء انعكس الهزيمة أم عكس النصر .

- ٣ -

قلت ان الكلمة هي الوجه الآخر للواقع - العمل ، واعني بذلك امرين : الاول هو ان الكلمة ليست شيئاً تالياً تجيء بعد العمل ، وانما هي العمل نفسه ، مشروعاً او مبادرة استباقية ورؤياً . فحين لا تكون الكلمة الا امرأ تالياً يكون ثمة قبول مسبق بان العمل افضل وأكثر أهمية ، وان دور الكلمة هو ان تمدحه وتبرزه ، فهي ليست الا وسيلة . كل شيء ، في المنظور العام ، وسيلة لتقدم الانسان وسعادته . العمل نفسه ، الواقع نفسه ، الطبيعة نفسها ، الوجود بكامله ... كل ذلك وسيلة للفاية : الانسان . لكن لا يجوز هنا ان نمزج بين الوجود بذاته والجمال بذاته . ففي مسألة التعبير جمالياً عن هذه الفاية ، ينقلب التعبير نفسه الى فاية ، من حيث انه معادل للغة لهذه الفاية . فهو يقدم وجهها او شكلها الجمالي . والوسيلة هنا لا تقتل اللغة وحسب . وانما تقتل الجمال ايضا . انها تشوه الوحدة بين معاناة الوجود والتعبير عنه .

بليوناً دولار اميركي تدعم الصهيونية ، لآبادة البشر الابرياء ! ليحيى بشر اخرون يلبسون القبلة ويمتدون وطننا مستوناً كالانياب . يكتبون التاريخ بالوحشية التي تسمى القوة ، وبالآبادة التي يقال عنها انها حق الحياة .

انت الاقوى يا اميركا نيكسون ، لكنك الاصفر . انت الاغنى ، لكنك لست اكثر من جيفة مهونة بالذهب . وانت العارية الفقيرة حتى الى رفعة صغيرة من الشرف . قيدك يضغط على ، أنا الفلسطيني العربي . حريتك تلامس عنقي . ظلامك يطوقني . لكنني لست مغلوباً ولا مقهوراً . يحلمني ضوء الحرية . والقيود التي تحاصرني أجنحة ثانية ، وفضضاء اكثر اتساعاً .

وليست فلسطين لي وحدي . انها رمز البراءة والعدالة ، وهي لذلك وطن لكل بريء عادل . ولهذا يقف معي كل بريء وعادل في العالم . ما هو كفاحي اكبر مني . انه اوسع من ان تحده ساحة الحرب بينك وبينني . انه كذلك وقود فريد في الغضب البشري النبيل السذي يهز أسس الارض ، ليظهر الارض ، منك اولاً يا اميركا نيكسون ..

ولهذا الكفاح ، اليوم ، حدان : حد يضرب الصهيونية ويضربك ، ويفتح في تاريخك تقوياً ستظل الى الابد تنزف الخزي والعار ... وحد يهبىء للتاريخ العربي مهذا آخر لولادة ثانية وها هو المخاض ... لا النهار يتباطأ ، ولا الليل يعرج ...

الظاهرة والدلالة

- ١ -

« تواقع الى المشاركة بعمل ما في معركة الشرف اكثر من مجرد كلمات على الورق ، فقد اجتاز وطننا الكلام الى الفعل » : بهذا خاطب توفيق الحكيم السلطة المصرية ، طالباً عملاً يدويا « يناسب سنه (٧٥ سنة) وصحته في مصنع امسدادات او مغطيات » . ولا يقدر الانسان ان يستقبل ، على الصعيد الاخلاقي ، مثل هذا الكلام يقوله كاتب كبير الا باعجاب كبير .

لكن ، في هذا الكلام ، من الناحية الادبية - الفنية ، ما يشير الى الفكرة الرائجة من ان الكلام لا يجدي - اي ان الكتابة لا تعدي . وربما أمكن فهم هذا الموقف ضمن حدود كونه رد فعل على وضع اجتماعي - ثقافي سيطر فيه الشلل ، واخذ الناس يعوضون عما يفرزه من العجز العملي ، بالتشديق اللفظي . صاروا يستبدلون ممارسة السيطرة على الواقع وتحويله ، بممارسة السيطرة على الالفاظ وتركيبها . وصار الواقع سرادقاً كبيراً من الالفاظ التي تندافع في جبل وصيغ يتخيل قائلها انها حشد من الايدي العاملة والخطوات المتقدمة . وهو الوضع الذي يعيشه المجتمع العربي ، بعمامة ، منذ اكثر من ألف سنة .

ضمن هذا المنظور يمكن القول ان اللاحاح على العمل اجسدي وافضل . لكن لا بمعنى ان العمل بذاته افضل من الكلمة بذاتها ، بل بمعنى ان الممارسة العملية تكون هنا بمثابة انقاذ للكلمة من هاوية الهذر الذي سقطت فيه ، فلم تقتل العمل وحده ، وانما قتلت ايضا

سلاح المثقفين في معركة التحرير

الثقافة بما هي فعل معرفة والتزام تدخل على هذا الاساس كعامل رئيسي وحاسم في ورشة التقدم الاجتماعي ، وكعامل رئيسي ايضا من عوامل النصر والهزيمة في المعارك التي تخوضها الشعوب من اجل استكمال تقدمها وتطورها .

واليوم اذ نخوض جيوش من البلدان العربية معركته الشرف والتحرير فان على المثقفين العرب المسؤولين ان يجندوا اقلامهم فوراً للاسهام في هذه المعركة بالتعبئة النفسية اللازمة ، لدعم جبهات القتال على مختلف المستويات وبكل الوسائل التي يملكونها .

والمثقف العربي الملتزم يعرف تماما ان دوره لا يقف عند حدود الدعم المعنوي والفكري للمعركة ، فهذا اول واجباته ، وانما يدرك استنادا الى التزامه بالمسؤولية الفكرية والتاريخية انه مدعو ايضا ، وبالقدر نفسه ، الى استشراف آفاق المعركة القتالية الآتية وابعادها السياسية ومؤثراتها الايجابية والسلبية في هذا الاتجاه او ذلك ، وتحليل تطوراتها العسكرية والمواقف السياسية التي تتخذها الحكومات المعنية نتيجة لتطور القتال وتقدير موازين القوى والظروف الدولية والعالمية .

من هنا ، ان دور المثقف اليوم ، ومهمته الثقافة العربية ، همما دور ومهمة تاريخيان بالنسبة الى سير المعركة من جهة ، وبالنسبة الى تقدير ملامساتها السياسية والدبلوماسية ، ونتائجها في اطار حركة التحرر العربية واهدافها العامة في بناء المجتمع العربي الحديث ، وفي اطار حركة التحرر العالمية وغاياتها الانسانية الكبيرة .

ومهما يكن ، فان التشديد على استمرار القتال ، وحشد كل الطاقات العربية في خدمة المعركة ومواصلتها بأي ثمن لدحر الصدان الصهيوني وحلفائه ، والتأكيد على ان اي تخاذل واي رضوخ لتهديد الاعداء ولجزم انطلاق الجندي العربي الباسل ، والتفريط بحق الشعب الفلسطيني ، وحق الشعوب العربية بالحرية والنصر هو خيانة قومية بحق شهداء هذه الامة وجريمة تاريخية لا تغفر .

ان الثقافة العربية الطبيعية ثقافة مسؤولة وملتزمة ، وفي ساحتها ايضا جنود لن يلقوا السلاح مهما تكن النتائج والتضحيات . فليطمئن اخواننا في الجبهة ، اننا الى جانبهم في معركة الشرف والتحرير من اجل النصر او الموت .

الاتوار

٢٢ تشرين الاول

والامر الثاني هو ان الكلمة لا ترتبط بالواقع ارتباط واصف بوصف ، او تابع بمتحول ارتباطا آليا ، وانما الحركة التي تنتظم فيها العلاقة بين اللفظ (الذات) والواقع (الموضوع) انما هي حركة جدلية ، تجعل كلا منهما يرتبط بالآخر ارتباطا جدليا . وهكذا لا تعود المسألة ان نفاضل بين العمل والكتابة ، او نتخلى عن احدهما في سبيل الآخر ، فهذا موقف يفصل بين الكلام والواقع ، عدا انسه يتضمن مفاضلة تنافس التكامل الجدلي بين الكتابة والعمل .

تصبح المسألة ان نعيد النظر في مفاهيمنا السائدة عن الكتابة وعن العلاقة بينها وبين الواقع . وتقدم لنا هزيمة ٦٧ ، والاحداث التي تلتها حتى ٦ تشرين الاول ، والاحداث التي جرت بدءا منه ، مادة فريدة للتأمل والتقويم . وحين نعيد النظر بدقة وعمق ، نبيّن الحقائق التالية :

أولا - ليس النتاج الفكري والادبي والفني بعد هزيمة ٦٧ ، واحدا . ان مستوياته متباينة جدا ، وهو لذلك متفاوت القيمة ، جدا .

ثانيا - ان ما سقط منه لم يسقط لمجرد انه عكس الهزيمة ، واستسلم لها . وما نجا من هذا السقوط لم ينج لأنه ظل آملا ورفض الهزيمة . فلم يكن السقوط او عدمه تابعا لمجرد الموقف ، وانما كان تابعا لدرجة الفنى والشمول في الرؤيا الفكرية او الادبية او الفنية .

ثالثا - ان في هذا النتاج ما استلهم الهزيمة وعكس ابعادها الحضارية ، ومع ذلك ظل ويظل نتاجا عظيما . فلقد كان نوعا من الحركة التي صنعت من الهزيمة حصارا على الوعي العربي والحاسة العربية ، يستحيل التفات منه الا بفعل يعاكس الهزيمة : حركة الانتصار . كان ، بتعبير آخر ، مواجهة في المستوى التراجيدي ، للانهار الذي ولدته الهزيمة . ولهذا كان بمثابة الطرف الاقصى للظلام الذي يلتصق بالطرف الآخر : النور . ومن هنا كان يشير الى اللهب فيما يعانق الرماد . وفي هذا لعب دورا أساسيا في شحذ الطاقة العربية وشحنها بحيث شارك في تعميق لعظمتها التراجيدية : اما المزيد من السقوط ، واما المزيد من التحرك في اتجاه يتجاوز السقوط .

ذلك هو دور الفن : ان يرميك في آتون الحياة لحظة يحدثك عن الموت . او يكشف لك عن واقع افضل وأبهى ، فيما يحدثك عن الواقع الاليف . لا دوره وحسب ، بل سره ايضا - السر السذي يميز الاعمال الادبية والفنية العظيمة ، ويطلعها . وهذا هو معنى الارتباط الجدلي بالواقع . فالقصيدة ، مثلا ، لا تتشبه بالواقع ، سواء كان ظلاما او نورا ، أي انها لا ترتبط به آليا ، وانما تأخذه ككل ، وتنفذ في معانيه ودلالاته وابعاده ، حيث يتشابك السقوط والنهوض ، العتمة والبريق ، الجمود والخلخلة ، في حركة دائمة من التحول الدائم باتجاه المزيد من سيطرة الانسان على مصيره وعلى الكون .

الاخبار

٢٧ تشرين الاول